يوم سبت تبدو على تماسّ بضراوتها «في برجيْن ومجمّع حربيّ في قارة أخرى صباحَ يوم ثلاثاء.» (ص ٢٠٣)

تُختزل المسافةُ المكانية/الزمانية. كأنّ اللهب يمتدّ عبر الأزمنة والأمكنة ولا نراه، ربما لأنّنا لا نُحسن قراءة التاريخ.

يدرك الناظرُ، بعد ما وصل إليه من معرفة، أنّ التاريخ مرجعٌ هامّ وضروريّ للحكاية، وأنّه عندما قال، في بداية حكايته، «قتلتني يا مؤرِّخ،» تجنّى على أستاذه الرافعي وكتابه. لكنّه الخوف من هول الآلة، من زمنها الذي لا ينتهي. خوف يداهم الناظرَ، يمتدّ ويتحوّل إلى عواء، مثل كلب في العاصفة. «أعوي،» يقول. ويَبرز السؤالُ الذي يطرحه على نفسه، بصفته يكتب: «كيف أكتب؟ هل يجوز أن تكون الكتابة عواء؟» (ص ٢٠٤)

بسؤال حول معنى الكتابة ومفهومها تُقاربُ الروايةُ صفحاتها الأخيرة، وكانت قد بدأتْ بسؤال مثيل ولو مضمرٍ. إنّها، إذن، نهايةٌ تحيل على بداية، وبدايةٌ تفضي إلى نهاية. كأنّ الحكاية كرةٌ تُشْبه مسار النار، أو كأنّ مسار النار حلقةٌ تنغلق نهايتُها على بدايتها. تنغلق لأنّنا لم نكسرْها في لحظةٍ من استدارة زمنها على ذاته. لم نقرأْ مآلَ النار يومَ حريق القاهرة. ويومَ حريق البرجيْن لم نسأل: ما العلاقة بين الحريقين؟

عن المعرفة تَطْرح الروايةُ أسئلتَها. وهي معرفة لا تكفي وحدها لكتابة رواية، لكنّها ضروريةٌ لسؤالٍ تطرحه الروايةُ على الكتابة: كيف نكتب؟

قطعة من أوروبا هي، في مسعى المؤلفة، مشروعُ جواب. فلقد كتبتْ رضوى عاشور روايةً أضمرتْ فيها دعوةً إلى الاهتمام بالحكاية، حكايتنا. وقادها اهتمامُها بهذه الحكاية إلى ممارسة كتابة الاختلاف البنائيّ للنوع الأدبيّ الروائيّ. ولم يكن دافعُ الاختلاف شكليًا، بل هو مرتبط بمادة الكتابة نفسها، بالمرجع، بموضوعِ الكتابة أو حكايتها.

كتبتْ رضوى عاشور روايةً لحكاية نَقَّبتْ عن أحداثها وأشخاصها، ونَظَرَتْ في أحوال أمكنتهم وأزمنتهم. فجاءت متوهّجةً بحرارة المعرفة والصدق، تدقّ أذنَ القراءة بإيقاعِ جُملها الحادّ، وتَشغل الخيالَ بتركيب مقاطعها وبناءِ فضاءاتِ عالمها الراكضِ بنا بين أزمنته المتعدّدة، وأناسِه الكثر، وزوايا الأمكنة وهي ترتسم وتكتسب بطاقةً مفصّلةً بهويّتها.

المعرفة بتاريخية الواقع ومجتمعيته وسياساته ركيزةٌ في رواية رضوى عاشور، ركيزةٌ واعية أرادتْها المؤلّفةُ كما يبدو لي، ولكنّها سعت كي لا تكون على حساب فنية الرواية ومتعة قراءتها. هكذا كانت تنكسر حدّةُ المعرفة بما يَطْرحه الناظرُ على نفسه من أسئلة تخلخل أحيانًا يقينيتَه، فندخل ونشارك في التأويل: التأويلِ المحاورِ المتعاملِ مع اللغة في جانبها الإحاليّ الذي يحفظ للمعنى قوةَ الحقيقة.. والتأويل الذي يَحْملنا على المشاركة في ما يمكن أن يتكشّف عنه زمنُ تهجس به الحفيدةُ شهرزاد بعد أن وصل الجدُّ إلى عجزه.

هكذا يترك الناظر (المؤلِّفة) لشهرزاد، للأحفاد، متابعةَ البحث مشفوعًا بإشراقة أمل، وبرغبة في الإفادة من حداثةٍ تُعِين ولا تعوّق: مَوْقعٍ على الشبكة ييسِّر تحصيلَ المعرفة، وكتابةٍ على الكومبيوتر تسهِّل ترتيبَ الأوراق ونشرَها.

فالحكاية لم تنتهِ.

بيروت

ملفات الأعداد القادمة من الآداب

- **السودان... بعيون مصرية (ملف من إعداد: أحمد الخميسي)**
- **الجزائر... بعيون مغربية (ملف من إعداد: عبد الحق لبيض)**
- **الشعر الإيراني الحديث (ملف من إعداد: موسى أسوار)**
- **الفن التشكيليّ العربيّ/المتوسطيّ (ملف من إعداد: كيرستن شايد)**
- **الشعر الأميركيّ الحديث (ملف من إعداد: سامر أبو هوّاش)**
- **المقاطعة الشعبية العربية والعالمية للعدوّ الصهيونيّ ولداعميه (ملف من إعداد: سماح إدريس وكيرستن شايد)**